المراهقة الجانحة من المسؤول ؟

صفاء لقمان (اليمن)

ساقتني الصدفة للذهاب إلى السجن المركزي في مدينتي. داخل هذا السجن كل فتاة مراهقة " جانحة" لها حكاية...وحكايات الجانحات المراهقات كثيرة ومثيرة وأسبابها عديدة، وعلى رأسها الظروف المعيشية الصعبة والتفكك الأسري.

عند وصولي إلى السجن المركزي، وبعد اطلاعي على بعض حكايات المراهقات، وقفت أسأل من موقعي كأم...أيعقل هذا ؟ الجواب كان ما رأته عيناي وما شعرت به من ألم وحسرة على المراهقات الجانحات. ففي عيني إحداهن لمست نظرة الرجاء. اقتربت من م.ع وسألتها فأجابت "عمري 13 عاما، تزوجت وعمري عشر سنوات من قريبي... أمي متوفاة... زوجة والدي كانت تضربني وتعذبني ...ولكن زواجي كان الأسوأ في حياتي الباقية ...فاضطررت للهروب من أهلي وزوجي إلى منطقة أخرى، حيث عملت هناك بفندق وكان لي أصدقاء ... وفي أحد الأيام، قبض علي مع صديقتي وأصدقائنا من الرجال غير المقيمين في البلد... وها نحن في السجن... أفضل حياة السجن على حياة التشرد والمهانة فأنا مرتاحة هنا. كل شيء متوفر لنا من أكل وملبس ومشرب ولا أريد الخروج من هنا".

أما س.م. فتقول : "عمري أربعة عشر عاما، مطلقة... غير متعلمة. كان أهلي يعاملونني بقسوة. وفي أحد الأيام ضربني والدي ضربا مبرحا...فهربت إلى بيت خالتي في مدينة أخرى...وتعرفت على صديقة، دفعتني إلى طريق السوء من خلال معرفتنا بأصدقاء جدد، حيث كنا نتمشى ونسهر سويا ...حتى قبض علينا" بسبب "أشياء ومعاملات لا أخلاقية" على حد قولها.

معظم الجانحات... من أسر مفكّكة

ومن خلال أراء باحثين اجتماعيين عاملين مع هذه الفئة، تأكد لنا أن المراهقات الجانحات معظمهن من أسر مفككة، تتصف عادة بظروف قاسية منها، غياب أحد الوالدين بسبب الوفاة أو الطلاق أو الهجرة. كما أن ضعف شخصية الوالدين يؤثر تأثيرا سلبيا على سلامة تربية النشئ داخل الأسرة. ويشكل نقص الرقابة العائلية والتوجيه الخاطئ وخاصة من الأم، سببا أساسيا في العديد من القضايا.

وتفيد بعض الدراسات بوجود علاقة بين جنوح "الأحداث" من الفتيات وجنوح الوالدين، حيث يقوم الأطفال بتقليد سلوك والديهم...إضافة إلى الحالة الإقتصادية للأسرة وخاصة الفقيرة منها والتي تولد مشاعر تساعد على نمو الاتجاهات العدائية والسلوك الجانح... إضافة إلى المدرسة، البيئة الثانية للفتى أو الفتاة. وأما عن علاقة التلميذة المراهقة بزميلاتها، فقد تكون دافعا للجنوح إذا كانت موضع سخرية من زميلاتها لفقرها أو لعيب في خلقها أو تشويه وعجز في جسدها، مما يثير الحقد والصراع في نفسها ويكون الانحراف هو المخرج الوحيد أمامها.

ويأمل الأخصائيون الاجتماعيون من افتتاح دار الجانحات التي تم بناؤها في العديد من المحافظات من قبل الدولة بدلا من السجون، أن تكون حلاّ لأن تواصل المراهقات حياتهن بالشكل الصحيح، وحسب القوانين والأعراف الوطنية والمحلية في اليمن. وتولي الحكومة اليمنية اهتماما كبيرا بالطفولة وبالفئة العمرية دون الثامنة عشرة حيث يمثل أفرادها أكثر من نصف السكان في اليمن، كما تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل في بناء تماسك المجتمع اليمني، حيث ترتبط هذه المرحلة بمتطلبات اجتماعية واقتصادية وثقافية يتحقق من خلالها المناخ الملائم لرعاية الأطفال من البنين والبنات...فأطفال اليوم هم شباب الغد ورجال المستقبل حيث أن القوانين المحلية في الجمهورية اليمنية قد تناولت وتتناول حقوق الطفلة بخاصة من نواحي شتى، منها حقها في الحصول على التعليم الإلزامي والمجاني وحقها في الحصول على الخدمات الصحية والاجتماعية وحقها في الانتفاع من الضمان الاجتماعي...وهناك قوانين أخرى تمسها بشكل مباشر منها قانون رعاية الأحداث الذي يحميها ويحمي حقوقها..ويحافظ عليها من أخطار الإهمال والاستغلال بجميع أشكاله.

وللأسرة في مجتمعنا اليمني دورها في إشباع الحاجات المادية والروحية للفتاة التي لم تتجاوز الثامنة عشر من عمرها، من حيث إعدادها تربويا واجتماعيا وثقافيا ونفسيا وبخاصة التركيز على تهيئتها منذ سنواتها الأولى على أن من أهم أدوارها في الحياة هو الدور الأسري وأن الزواج هدف مهم وأن الإنجاب يمنح المرأة منزلة خاصة في أسرتها ومجتمعها، وأن أنوثة المرأة وجمالها صفات أساسية تأتي في مقدمة الصفات والخصائص. ويحدد المجتمع على أساس هذه المفاهيم للمرأة أدوارا غير أدوار الرجل، ويكرس فيها المفهوم النمطي لأدوار الجنسين وسيادة هذه المفاهيم وطغيانها على السلوك الاجتماعي العام. وبالرغم من التطورات التي طرأت على منظومة العلاقات الأسرية والاجتماعية داخل الأسرة اليمنية وفي المجتمع، إلا أنها علاقات تقوم على الأمر والنهي، حيث بيّنت دراسات اجتماعية هذه المشكلة في نظام هذه العلاقات ينحسر فيها مفهوم المشاركة والحوار ويغلب عليها الطابع السلطوي والتسلطي للأب والأبناء الذكور.

وتولي الدولة من ناحية أخرى، اهتماما كبيرا لتحسين حياة المجتمع الاجتماعية والاقتصادية. كما تولي اهتماما خاصا للطفولة وأطفال اليمن. ومثل صدور قانون رعاية الأحداث اليمني الصادر في 24 آذار- مارس 1992، خطوة شجاعة ومتقدمة. وتتمثل إيجابيات هذا القانون حسب وجهة نظر الباحثين والقانونيين،

في أنه الأول بعد الثورة وفي أنه قانون منفصل عن القوانين الأخرى بشأن الأحداث ...وأخص بالرعاية القانونية الأحداث الجانحين والمعرضين للجنوح، كما أن القانون حاول أن يستجيب لمجمل الفعاليات الرسمية والاجتماعية اليمنية التي اهتمت بمشاكل الأحداث ومطالبتها بإصدار قانون خاص برعايتهم. وعبّر بذلك عن محاولة محمودة للحاق بركب الدول المتقدمة في تعاملها وتشريعاتها بشأن الأحداث الجانحين من الجنسين، كما أنه تجسيم لموقف بلادنا في التوقيع على اتفاقية حقوق الطفل العالمية... ومحاولة للتمثيل الإيجابي كما ورد فيها. ويشمل القانون مسائل هامة جدا من أبرزها إقرار إنشاء محاكم خاصة بالأحداث على مستوى أمانة العاصمة بسائر محافظات الجمهورية وتحديد اختصاصاتها، والإشارة إلى واجب تسهيل محاكمة الحدث ومرونتها... وتحريم الإساءة إلى سمعته ونشر اسمه وصورته ووقائع محاكمته وإعفاء الحدث من المصاريف القضائية، وانتداب محام له في الحالات الضرورية، وهناك العديد من الإيجابيات التي احتواها القانون لصالح الجانحين والجانحات.

وحسب مصادر مسؤولة، تسعى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل هذا العام لفتح دور رعاية الجانحات في محافظات الجمهورية والتي مولت بتمويل حكومي ودولي، تمارس فيها الخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي لحمايتهن والتي تتمثل في التطبيق المهني لعلم الخدمة الاجتماعية، وغرس القيم المهنية واكتساب المهارات عند الجانحات المعرضات للانحراف لكي يحصلن على خدمات ملموسة لهن ولأسرهن، وأيضا سيقدم لهن الإرشاد النفسي الاجتماعي وإمدادهن بالخدمات الاجتماعية التي يحتجن إليها.

إن الجانحات المراهقات يشكلن أعدادا ضئيلة جدا في السجون، وتتولى حراستهن نساء عسكريات يقدمن لهن العون والمساعدة من حيث الدراسة، التعليم والغذاء وغيرها من الخدمات الجليلة التي تقدم لهن، وتعمل الجهات الرسمية دائبة من أجل التصدي لمواجهة خطورة هذه المشكلة من خلال تطبيق القانون...والتعامل مع هذه الفئة الجانحة بوسائل عدة... وبعقلانية وفق قانون الأحداث...ومن ثم رعايتهن في الإصلاحية و دار الجانحات التي عملت الدولة على إنشائها ولحماية المراهقات الجانحات من التشرد والإنحراف.

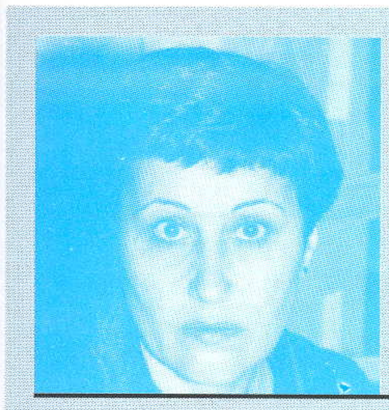

هل للمراهقات وجود في برامج الجمعيات النسائيّة؟

فاطمة حوحو (لبنان)

المراهقات : الحلقة المفقودة

إن الذي يراجع برامج المنظمات النسائية العربية العاملة من أجل حقوق المرأة، لا يجد بالتأكيد أية إشارة إلى أوضاع الفتيات المراهقات، والمعوقات منهن على وجه الخصوص، إلا فيما ندر، وبطريقة خجولة، تنم عن محاولة لرفع العتب، أكثر مما تدل على اهتمام جدي بهذا الأمر.

لماذا يتم تجاهل مشكلات الفتيات المراهقات وعدم رصد برامج خاصة للطفلة التي تبدأ بمغادرة طفولتها باكرا مع ظهور دورتها الشهرية وتعامل على أساس نضج جسدها لا على أساس نضج عقلها؟ هنا تقع المراهقة أسيرة هذا الواقع. تعيش معاناة الانتقال من الطفولة إلى الشباب وهي مرحلة عمرية تصل إلى عشر سنوات تقريبا، وكأنها في سجن حقيقي. فلا يزال مجتمعنا يخاف جسد المرأة، ويتعاطى معه وفقا لمبدأ " العيب" يجب التستر عليه، وقمع رغباته المتأججة ومواجهة أحلامه عبر رفض تقبل الأمر الواقع. وفي حين يبدأ إعداد المراهق لمواجهة عالمه الخارجي بتدريبه على " صيد البنات " في غابة الحياة، والانطلاق نحو اللعب واللهو بحرية، يتم حرمان الفتاة في أول مراهقتها من أمور عديدة، من دون أن يتم تأهيلها لتفهم وضعها الجديد. يتم الانتقال بها من عالمها الطفولي البريء إلى عالم التصنع فجأة كي تكبر سريعا وتصبح مؤهلة للدور التقليدي المرسوم لها فقط. ودورها أن تكون أما، قبل أن تكون زوجة قادرة على مشاركة الرجل في المتعة الجسدية، كحق من حقوقها وعدم اختصار مشاعرها الإنسانية الطبيعية في وظيفة بيولوجية يؤديها عضو من أعضائها وهو "الرحم، بيت جنينها" للحصول على مكانة لها في المجتمع. ولأن صورة المرأة المحترمة تبدأ وتنتهي عبر تكريس صورة المرأة الأم فقط.

أما المرأة التي ليست أما ، سواء كانت متزوجة، أم عزباء، فلا تحظى بالاحترام نفسه، وغالبا ما تعتبر أقل مكانة مقابل تعزيز صورة المرأة الأم المضحية حتى وإن كانت مسكينة لا تشعر بوجودها.

وبناء على ذلك، لا بد من أن تولي الجمعيات النسائية اهتماما أكبر للمراهقات والتوجه إليهن بما يبرز قدراتهن على التفتح والإبداع وعدم الخجل من أجسادهن ورغباتهن الجنسية، بل التعاطي معهن بآفاق مفتوحة ووعي بالحقائق العلمية، وعدم حصر أهدافهن بالحياة في مجال محدد، أي الزواج، وإنما إعطائهن حرية الاختيار في هذا الأمر، وجعلهن يخترن الحياة المشتركة بطريقة واعية، تنم عن رغبة ذاتية حقيقية، ليس فيها إرضاء للآخرين وإنما ببذات أولا وأخيرا.

إنني أتساءل هل بمقدور الجمعيات النسائية في العالم العربي أخذ هذه المهمة الشاقة على عاتقها، والاهتمام بانتماء الفتيات المراهقات بما يؤهلهن لأن يكن فاعلات في المجتمع، قادرات على مواجهة الحياة بجرأة متفهمات لأدوارهن المتعددة الأوجه، واثقات من إمكانياتهن على تغيير المجتمعات التي تحرمهن من حقوقهن وتضيق عليهن فرص المساواة مع الرجال ؟

إن تغيير أوضاع النساء يبدأ من هنا، من إيجاد جيل جديد من الفتيات القادرات على تغيير الصورة، وهن بالطبع قادرات لأنهن في سن يتأجج بالمشاعر الرافضة التي يمكن أن تكون إيجابية إذا وظفت بطريقة صحيحة ولأن أحلامهن تشتعل بالأفكار الجيدة والتي لا بد أن تكون مفيدة، المهم أن تعطى لهن فرصة لاختبار ما يتوارد لديهن من خواطر إيجابية ومحاولة ردع السلبيات بطرق لطيفة، لا بأسلوب القمع والتهديد الذي نعامل به من قبل أصحاب السلطات في مختلف المواقع السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية.